القرآن والقراءات حقيقة واحدة من خلال دراسة الاختلافات النحوية والصرفية بين رواية ورش ورواية حفص

أ/ محمد قيدوم
جامعة الجزائر2

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، الذي نزّل القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن علم القراءات علم شريف الغاية، رفيع الراية، صافي المنهل، عذب المنبع، غزير الفائدة، نهر علم متدفق تنهل منه روافد اللغة العربية من نحوٍ وبلاغةٍ وصرفٍ، ودارس العربية إن لم يطلع على القراءات القرآنية وما فيها من الظواهر الصوتية والنحوية غاب عنه كثير من أسرار هذه اللغة، فالقرآن هو خير معلم للغة العربية، وبه يتم لك كشف أسرارها، فلا غنى لطالب علم اللغة عنه، فهو أساس كل العلوم اللغوية، باعتباره أساسا متينا وقاعدة صلبة لأي دراسة نحوية تقوم على التأصيل الجاد، والتقعيد السليم، وتحقق بناءً علميا أكثر مصداقية من أبحاث ودراسات، فضلا عن الصلة الوثيقة التي تربطه بعلم النحو وأثر ذلك على المعنى.

1-رواية ورش ورواية حفص في الجزائر:

عُرف المغرب العربي منذ زمن طويل برواية ورش عن نافع، وألفوا في هذه القراءة كثيرًا من المصنفات إلى يومنا هذا يُدرس القرآن ويُحفظ، ويُتلى، ويُرتل بهذه القراءة في الجزائر وفي أنحاء بلاد المغرب العربي عامة، لكن الملاحظ الآن وفي وقتنا الحالي بروز رواية حفص عن عاصم، ومنافستها لرواية ورش في الجزائر، فقد أثبتت هذه الرواية وجودها، حيث بدأ الاتجاه نحوها واتسع مؤخرا حتى أصبحت ندّا لرواية ورش، على الرغم من تعصب بعض المغاربة لقراءة نافع بداعي الحفاظ على الخصائص المغاربية في هذا العلم، وهذا من طريق شباب من حفظة القرآن الجزائريين الذين تلقوا القراءة في المشرق، فضلا عن الأسباب التاريخية والجغرافية، فتوسعت مناقشة الاختلافات حتى بلغت- في بعض الأحيان -إلى العامة من الناس، ما سيطرح إشكالا يشبه نوعا ما الذي طرح أيام نزول القرآن، يوم اختلف الصحابة في قراءاتهم

كل بحسب ما سمع من رسول الله (ص). روى البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص)، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله (ص)، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله (ص) فقلت: كذبت، فإن رسول الله (ص) قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (ص) فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله (ص): أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه». وفي أيامنا هذه، قد نجد أحدهم يقرأ القرآن ولا يعلم أو لا يهتم أصلا بأي القراءات يقرأ، وبأي الروايات يتلو، وقد يخلط بين القراءات وهو لا يشعر بذلك، بل قد يدخل المسجد ويتناول المصحف برواية حفص فيقرأ فيه سورة قد حفظها في صغره برواية ورش، ويكون في السورة اختلاف، فيظن أنه كان يحفظها خطأ فيصححها على قراءة عاصم، وهنا يكمن الإشكال. لذلك أجد أن موضوع البحث له من الأهمية والخطورة ما يدفعني إلى أن أخوض فيه لإزالة اللبس لدى العامة والخاصة من المسلمين، وأريحهم من عناء الجدال في هذا الأمر، فقمت –بفضل الله– بدراسة تتناول الاختلافات النحوية والصرفية بين رواية ورش ورواية حفص في القرآن الكريم وقد أحصيتها كلها من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، سعيا مني إلى توفير مرجع في متناول الطلبة والمهتمين بدراسة القرآن وقراءته، يشتمل على جميع الاختلافات النحوية والصرفية بين الروايتين.

قيل: إن الصرف جزء من النحو، وقيل: إن الصرف يشمل النحو، أما أنا فأرى أنهما كل متكامل يكمل كل منهما الآخر، لأسباب تاريخية وأخرى دينية. وأقصد بالأسباب التاريخية أن لهما النشأة نفسها، والبداية نفسها، وأقصد بالدينية أنهما علمان وجدا معا مندمجين يشملهما علم واحد هو علم النحو، وكان الدافع لنشأته دينيا، إن صحت قصة بداية هذا العلم الشهيرة التي وقعت بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واللغوي الشهير أبي الأسود الدؤلي حيث كتب رضي الله عنه مبادئ لغوية على رقعة من أجل قراءة القرآن قراءةً سليمة لمّا فسدت الألسن وفشا

اللحن بعد دخول غير العرب الإسلام واختلاط العرب بهم، ثم دعا أبا الأسود الدؤلي وألقى إليه الرقعة وقال له: أنحو هذا النحو. فكلمة النحو لم يقصد بها بدايةً تغير أواخر الكلمات أو العناية بتركيب الكلام أو الجملة فحسب، وإنما كان يقصد بها وضع قواعد لغوية لتقويم اللسان والنطق السليم والصحيح للعربية، والفهم الصحيح والسليم لكتاب الله وسنة نبيه، فعلاقة التسمية بالعلم علاقة اعتباطية. ثم بمرور الأيام استقل علم الصرف كعلم قائم بذاته يهتم –فقط– ببنية الكلمة، ثم انبثقت من علم النحو جميع العلوم اللغوية من بلاغة وإعراب وصرف ولسانيات وصوتيات، لذلك أرى أنه ليس من المنطق والعقل أن نحصر النحو –فقط– في العلم الذي يهتم بتركيب الجملة، والتغير الذي يحدث في أواخر الكلمات، وكان من الممكن أن نسمي ذلك علم الإعراب ونترك مصطلح النحو مسمى لمجموع العلوم اللغوية العربية.

وإليكم سورة الحج نموذجا لدراستي:

2–سورة الحج:

1/2–الاختلافات النحوية في سورة الحج:

1/1/2–(سَوَاءٌ) بالرفع، و(سَوَاءً) بالنصب:

ورش	الآية	حفص	الآية
إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالمَسْجِدِ الْحَرَامِ الذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ **سَوَآءٌ** الْعَاكِفُ فِيهِ والْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	23	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالمَسْجِدِ الْحَرَامِ الذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ **سَوَآءً** الْعَاكِفُ فِيهِ والْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ	25

(سَوَاءٌ) بالرفع، على الابتداء و(العاكف) خبره[1]. ورأي آخر يقول: أنه ارتفع لأنه خبر مبتدأ تقدم على المبتدأ، والتقدير: العاكف والبادي فيه سواءٌ[2]. و(سَوَاءً) بالنصب، جعله مفعولا ثانيا من قوله: (جعلناه للناس سواءً) أي: مستويا، كما قال تعالى: **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** الزخرف/3، و(العاكف) يرتفع بفعله، أي: استوى العاكف فيه والباد[3]. وقيل: يجوز أن يكون(سواءً) منصوبا على الحال من الضمير في(جعلناه) والعامل فيه(جعلنا)، ويجوز أن يكون العامل فيه الفعل الذي في قوله: (للناس)، لأن الجار والمجرور يتضمن معنى الفعل، وصاحب الحال الضمير المستكن الذي فيه، كأنه قال: (استقر هو للناس في حال كونه سواءً) [4].

2/2–الاختلافات الصرفية في سورة الحج:

1/2/2-(لِيَقْطَعْ، لِيَقْضُوا) بكسر اللام، (لْيَقْطَعْ، لْيَقْضُوا) بإسكان اللام:

ورش	الآية	حفص	الآية
مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَّنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ **لِيَقْطَعْ** فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ	15	مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَن يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ **لْيَقْطَعْ** فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ	15
ثُمَّ **لِيَقْضُوا** تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ	27	ثُمَّ **لْيَقْضُوا** تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ	92

(ثُمَّ لِيَقْطَعْ، ثُمَّ لِيَقْضُوا) بكسر اللام في الحرفين، وهو الأصل في لام الأمر، لأن الأصل في هذه اللام ان تكون مكسورة نحو قولك: لِيَذْهَبْ زيدٌ، وإنما كسرت ليَفْرَقَ بينها وبين لام الابتداء الداخلة على الاسم نحو: لَزيدٌ أفضل من عمرٍو، وإنّ هذا لَزيدٌ، فإنها مفتوحة وكُسرت هذه للفرق. وقد أسكن ورش عن نافع اللام في:(وَلْيُوفُوا، وَلْيَطَّوَّفُوا)، وذلك لأنه يجرى لام الأمر إذا كان يتقدمه ثم على الأصل من الكسر، وإذا تقدمه الفاء أو الواو فإنه يجعلهما مع اللام بمنزلة ما هو من نفس الكلمة، لأن كل واحد من الفاء والواو لا ينفرد بنفسه، فصار من الكلمة بمنزلة (كَتِف وفَخِذ)، فكما جاز إسكان الأوسط في (كَتِف وفَخِذ) جاز إسكان هذا اللام. وترك إسكان اللام مع(ثم)، لأن ثم ينفصل عن الكلمة، وينفرد بنفسه، ويُسكتُ عليه دون ما بعده، فلا يصير بمنزلة ما هو من نفس الكلمة، وليس كذلك الفاء والواو. و(ثُمَّ لْيَقْطَعْ، ثُمَّ لْيَقْضُوا) بإسكان اللام، لأنه جعل (الفاء) و(الواو) بمنزلة ما هو من نفس الكلمة على ما تقدم، وأجرى(ثم) مجرى(الفاء) و(الواو)، فأسكنوا اللام مع الكل، ولأنه شبه (الميم) من (ثم) بمنزلة (الفاء) و(الواو)، وكأنه جعل(مَلْيَقْظُوا) بمنزلة(فَلْيَقْظُوا). قال العجاج: (فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وما تَكَرْدَسا)، فأجرى(تَصِبًا) من (مُنْتَصِبًا) بمنزلة(فَخِذ)، هذا في المتصل ومثله في المنفصل قول آخر: (قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا دَقِيقًا)، فأجرى: (تَرِلَ) بمنزلة(فَخِذ) فأسكن الراء[5].

2/2/2–(فَتَخَطَّفَهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء، (فَتَخْطَفُهُ) بإسكان الخاء وفتح الطاء وتخفيفها:

ورش	الآية	حفص	الآية
حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ **فَتَخَطَّفُهُ** الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ	29	حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ **فَتَخْطَفُهُ** الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ	31

(فَتَخَطَّفَهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء، والأصل(تختطفُه) فأدغم التاء في الطاء، وألقى حركة التاء على الخاء ففتحها[6]. ومن قال أن الأصل(تَتَخَطَّفُه) بتائين فحذفت تاء(التَفَعُّل) لاجتماع التائين[7]. و(فَتَخْطَفُهُ) بإسكان الخاء وفتح الطاء وتخفيفها، من (خَطِفَ، يَخْطَفُ)، والحجة قوله تعالى:(**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**) الصافات /10 ، ولم يقل (اختطف) وهما لغتان، تقول العرب: خطف يخطف، واختطف يختطف[8].

3/2/2–(ولولا دفاع) بالألف، و(ولولا دفع) من دونها[9]:

ورش	الآية	حفص	الآية
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا **دِفَاعُ** اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ **لَّهُدِّمَتْ** صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	38	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا **دَفْعُ** اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ **لَّهُدِّمَتْ** صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	40

4/2/2–(هدّمت) بالتشديد، و(هُدمت) بالتخفيف:

(هدّمت) بالتشديد، أراد تكرير الفعل والتكثير أي: (هدّمت) شيئا بعد شيء، وهو مضعف من(التهديم) للمبالغة، والتهديم كثير لوقوعه في الصوامع والبيع والصلوات والمساجد. و(هُدمت) بالتخفيف، أراد المرة الواحدة من الفعل، ويقع للتقليل والتكثير. وهما لغتان فاشيتان[10].

5/2/2-(بير) غير مهموزة، و(بئر) بالهمز:

ورش	الآية	حفص	الآية
فَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِيرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ	43	فَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ	45

(بير) غير مهموزة، على تخفيف الهمزة، وتخفيفها ههنا بقلبها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها مثل: (ذيب) ونحوه، وتخفيف كل همزة ساكنة أن تقلب إلى الحرف المجانس لحركة ما قبلها. و(بئر) بالهمز، وهو الأصل، ولأن الأصل في الهمزة التحقيق[11].

6/2/2-(مُّدْخَلًا) بضم الميم، و(مَّدْخَلًا) بفتح الميم[12]:

ورش	الآية	حفص	الآية
لَيُدْخِلَنَّهُمْ مَّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ	57	لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ	59

7/2/2-(يدعون) بالياء، و(تدعون) بالتاء:

ورش	الآية	حفص	الآية
ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ	60	ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ	62

(يدعون) بالياء، والمراد الإخبار عنهم(المشركون)، وهم غُيَّبٌ لأن الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم. و(تدعون) بالتاء، على خطاب المشركين، كأنه قال: (إنما تدعون أيها المشركون هو الباطل)، أو على معنى القول كأنه قال: (قلْ لهم يا محمد إنما تدعون)[13].

3/2-جدول الإحصاءات لسورة الحج:

السورة الإحصاءات	الحج
عدد آياتها في رواية ورش	76
عدد آياتها في رواية حفص	78
عدد كلماتها	1274
عدد الاختلافات النحوية	1
نسبة الاختلافات النحوية	٪0.07

عدد الارتباطات النحوية	1273
نسبة الارتباطات النحوية	٪99.92
عدد الاختلافات الصرفية	7
نسبة الاختلافات الصرفية	٪0.54
عدد الارتباطات الصرفية	1267
نسبة الارتباطات الصرفية	٪99.45
مجموع الاختلافات النحوية والصرفية	8
نسبة الاختلافات النحوية والصرفية	٪0.62
مجموع الارتباطات النحوية والصرفية	1266
نسبة الارتباطات النحوية والصرفية	٪99.37

3- الدراسة الإحصائية للاختلافات النحوية والصرفية بين رواية ورش ورواية حفص في القرآن الكريم:

أما ما توصلت إليه من نتائج من خلال دراستي هذه فألخصها فيما يلي:

* عدد الاختلافات النحوية بين رواية ورش ورواية حفص في جميع القرآن الكريم (90) تسعين اختلافا، أو حرفا.
* عدد الاختلافات الصرفية بين رواية ورش ورواية حفص في جميع القرآن الكريم (421) واحدا وعشرين وأربعمائة اختلافٍ.
* مجموع الاختلافات النحوية والصرفية بين الروايتين في جميع القرآن الكريم(511) أحد عشر وخمسمائة اختلاف.
* أكبر عدد للاختلافات الصرفية والنحوية كان في سورة البقرة حيث بلغ (41)واحدا وأربعين اختلافا، منقسمة إلى (10) عشرة اختلافات نحوية، و(31) واحد وثلاثين اختلافا صرفيا.
* مجموع السور التي لم يسجل فيها أي اختلاف تكون-بالضرورة- نسبة الاختلاف فيها 0٪، وتكون نسبة الارتباط فيها 100٪. أما أكبر نسبة تمثل الاختلافات النحوية والصرفية ضمن السور التي تشتمل على الاختلافات النحوية والصرفية كانت في سورة

الإخلاص بنسبة 6.66٪، وبأقل نسبة ارتباط تقدر ب: 93.33٪. وأقل نسبة تمثل الاختلافات النحوية والصرفية كانت في سورة فاطر بنسبة 0.12٪، وبأكبر نسبة ارتباط تقدر ب: 99.78٪.

* بلغت نسبة الاختلافات النحوية والصرفية في القرآن الكريم كاملا 0.65٪. أما نسبة الارتباطات النحوية والصرفية فيه فقد بلغت 99.34٪.

معظم سور القرآن الكريم اشتملت على الاختلافات النحوية والاختلافات الصرفية، لكن هناك سور خلت من الاختلافات النحوية وعددها سبع وثلاثون سورة وهي: الأحزاب، الفرقان، الشعراء، الأحقاف، المجادلة، القيامة، المرسلات، التحريم، الفتح، ق، الطور، الممتحنة، الجن، المدثر، الحجر، محمد، الزمر، الحجرات، المنافقون، القلم، الفجر، البلد، الفاتحة، فاطر، الذاريات، الرحمن، الحشر، التغابن، الملك، الحاقة، نوح، الانفطار، المطففين، الانشقاق، الطارق، الهمزة، الإخلاص. كما أن هناك سورا تخلو من الاختلافات الصرفية بالمقابل وهي خمس سور: الصف، السجدة، المزمل، الشمس، المسد. وهذا يبين أن الاختلافات الصرفية أكثر بكثير من حيث العدد من الاختلافات النحوية، فضلا عن وجودها المستمر في أغلب سور القرآن الكريم، وهذا دليل على أن الاختلاف في القراءات أساسه بنية الكلمة، وإذا قلنا بنية الكلمة هذا يعني أن مرجع اختلاف القراءات الأساسي هو رسم الكلمة في القرآن الكريم التي كانت من دون شكل ومن دون تنقيط، فالاختلاف إذن هو نتيجة ما يحتمله هذا الرسم القرآني، ومظهره يكمن في بنية الكلمة بالدرجة الأولى وليس في وجوه الإعراب، لذلك جاءت الاختلافات النحوية أقلّ. كما أن هناك سورًا أخرى تخلو تماما من الاختلافات سواء أكانت نحوية أم صرفية، بنسبة ارتباط 100٪، وهي خمس وعشرون سورة: النجم، القمر، الجمعة، البروج، التكوير، الأعلى، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، الفرق، الناس.

4-القرآن والقراءات حقيقة واحدة و لا علاقة لاختلاف المدارس النحوية باختلاف القراءات:

وما رأيته من خلال هذه الإحصاءات من أعداد ونسب أن عدد الاختلافات ونسبها ضئيلة جدا مقارنة بعدد كلمات القرآن الكريم وهي تمثل فقط 0.65٪ من مجموع كلمات القرآن

الكريم، وهذا دليل على أن القرآن كلام الله واحد وأسلوبه واحد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأما ما سجل من اختلاف في أحرف منه كان نتيجة كتابته خاليا من الشكل ومن النقط، من أجل تيسير تلاوته على الأمة التي كانت لغاتها مختلفة ولهجاتها متباينة، ومن أجل التوسعة في الأحكام والتشريعات التي جاء بها القرآن الكريم، ويكون الاختلاف عادة في أحرف قد تقرأ بأكثر من قراءة مناسبة للمعنى في حالة إزالة الشكل والنقط وهي قليلة جدا مقارنة بعدد أحرف القرآن الكريم. فلم تكن الاختلافات بين الروايتين إلا في إطار ما احتمله رسم المصحف، ولم يخرج عن ذلك، و هي ليست باختلاف تناقض أو تضاد، كما أراد أن يروج له بعض المستشرقين، وإنما هو اختلاف تكامل يبرز ما يحمله القرآن الكريم بقراءاته من إعجاز على مستوى اللفظ والمعنى، وفي كثير من الأحيان نجد هذه الاختلافات والتي تنطلق من اللفظ تصب في معنى واحد أو معان متقاربة لا تخرج عن أحكام ولا عن تشريعات الدين الإسلامي، مثل: خادع ، وخدع، فعلى الرغم من اختلافهما في اللفظ إلا أن خادع قد تؤدي معنى خدع بالضبط، أي يكون الفعل من طرف واحد ولا يفيد المشاركة مثل تابع، وبايع. ومن أسرار الإعجاز القرآني، هذه القراءات والروايات، فقد تبرز قراءة أو رواية من معانٍ مكثفة ما لا تبرزه قراءة أخرى أو رواية أخرى. كما أرى أن هذه الاختلافات ليس مرجعها اختلاف المدارس النحوية وخاصة مدرستي البصرة والكوفة، وإنما هي امتداد طبيعي بالسند الصحيح للقرّاء الأوائل من الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن أمين الوحي جبريل عليه السلام عن رب العزة والجلال سبحانه وتعالى، وقد سعيت في تتبع مسألة تأثير هاتين المدرستين النحويتين بالرجوع إلى بعض المراجع والمصادر التي تتناول النحو الكوفي ومن أهمها كتاب(معاني القرآن) للفراء، فوجدت في الأخير أن كل قارئ سواء أكان بصريا أم كوفيا إنما أخذ القراءة كما وردت إليه بالسند الصحيح مشافهة عن شيخه، لكني استشفيت تعصب الكوفيين في الأخذ عن بعضهم بعضا، وأرجح أن هذا هو سبب قولهم: قراءة الكوفيين، وكذلك أخذ البصريون عن البصريين فقيل: قراءة البصريين، وليس ذلك بدافع الميل إلى مدرسة نحوية بعينها، وقد أخذ الرواة عن القراء ولم يكن فيهم البصري أو الكوفي، وقد خالف حفص شيخه عاصم الكوفي في مجموعة من الأحرف ولم يكن ذلك بتأثير من مدرسة نحوية، لكن—كما سبق وأن ذكرت- أننا قد نجد الكوفيين أكثر تعصبا في الرواية عن بعضهم، وموافقة بعضهم البعض فنجد مثلا حفصا والكسائي وحمزة والأعمش وكلهم كوفيون، وخلف

العاشر الذي أخذ عن حمزة الكوفي ولو أنه ليس كوفيا يتفقون في قراءة (أربع) بالرفع في قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** النور/6، ويخالفون فيها بقية القراء وفيهم الكوفي وفيهم البصري. وقد وافق الفراء في كتابه (معاني القرآن) [14] ورشا ونافعا وهو شيخ من شيوخ مدرسة الكوفة النحوية في رفع (البر) في قوله تعالى:**(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)** البقرة/177، وخالف فيها حفصا وعاصما الكوفيين اللذيْن قرآها بالنصب. كذلك قرأ الكوفيون (يحسب) بفتح السين في جميع القرآن الكريم، وبفتح السين أقيَسُ، وقرأها ورش عن نافع بكسرها وهي القراءة الأحسن والأشهر والأفصح، والكسر أجود اللغتين، وكل فعل كان ماضيه مكسورا، يأتي مستقبله مفتوح العين، نحو: عَلِمَ يَعْلَمُ، إلا أربعة أحرف جاءت نوادر هي: يحسِب، ويَيْئِسُ، وينعِم، ويبْئِسُ فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح، ومن فتح فقد أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فَعِلَ) بالكسر يأتي مضارعه على(يفعَلُ) بالفتح قياس مطرد، والحجة لمن كسر: أن العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال كما سبق وأن ذكرنا، حتى صار الكسر فيهن أفصح وقال أبو علي: القراءة بتَحْسَبُ بفتح السين أقيَسُ، والكسر حسن لمجيء السمع به، وإن كان شاذا عن القياس، مع أن مدرسة الكوفة النحوية تنزع إلى السماع وتنفر من القياس الذي هو سمة من سمات المدرسة البصرية، إلا أننا نرى القراء الكوفيين قد التزموا القياس في هذا المسألة، ومن هذا كله أرى أن القراءات هي وحي وتوقيف ولا تختلف عن القرآن الكريم بل كلاهما واحد وليسا حقيقتين متغايرتين.

5- أسباب اختيار المغاربة لرواية ورش:

اختار سكان الغرب العربي تلاوة القرآن الكريم برواية ورش عن نافع كاختيارهم لمذهب الإمام مالك الفقهي، وكأنّ الجزائريين باختيارهم هذا قد جمعوا بين إتباع إمام دار الهجرة وفقيهها الإمام مالك، وعالمها ومقرئها نافع، مقرئ المسجد النبوي، وقد شهد مالك ابن أنس لإمامين من أئمة القراءات بالمدينة في عهده وزكاهما وهما: نافع وأبو جعفر، وقد قال الإمام مالك عن قراءة نافع: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم، وعندما سئل عن حكم الجهر بالبسملة أثناء الصلاة، قال: سلوا نافعا، فكل علم يسأل عنه أهله، ونافع إمام الناس في القراءة، وهذا وإن دلّ فإنما يدلّ على مدى التوافق الحاصل بين المذهب المالكي ورواية ورش. كما يُرْجع

بعضُهم أسباب الاختيار إلى تسهيل الهمز الذي يلائم لهجة الجزائريين، والذي يميز قراءة نافع عن غيرها من القراءات، فقد روي عن الإمام مالك أنه يكره القراءة بالنبر أي تحقيق الهمز، باعتبار ما جاء في السيرة من أن الرسول (ص) لم تكن لغته الهمز، لأن من لغة قريش تسهيل الهمز والرسول صلى الله عليه وسلم ينتمي إلى قبيلة قريش. ومن أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم كذلك اتجاه الناس إلى اختيار الأيسر، وقراءة حفص يسيرة سهلة الأداء، بالإضافة إلى طباعة المصاحف برسم قراءة حفص، عامل أساسي في انتشار هذه الرواية على مر العصور، فضلا عن الإذاعات والمرئيات من قنوات فضائية قرآنية، كما أن الله سبحانه وتعالى وضع لهذه الرواية القَبول والإقبال، وقد اجتمع القراء الأربعة عشر، وغيرهم على الارتباط بنسب ارتباط مرتفعة بفرش حروفه، وهي في معظمها-إن لم نقل كلها- تتعلق بالجانبين النحوي والصرفي، فلم يعارضه أحد، وتسابقوا إلى موافقته، أعلنوا ذلك أم لم يعلنوا، مما أثبتته الإحصاءات.

ولا أؤمن بما يذهب إليه المستشرق ريجي بلاشير حين يقول: «إن الجماعة الإسلامية لن تعترف في المستقبل إلا بقراءة حفص عن عاصم»، بل ستبقى كل القراءات محفوظة عبر الزمان كما حفظت منذ أربعة عشر قرنا، وإذا قلنا القراءات فهذا يعني القرآن عند المسلمين، وستبقى ما بقي القرآن، والقرآن باق ما دامت السماوات والأرض. وعلى الرغم من أني لا أفضل مناقشة آراء المستشرقين وغير المسلمين عندما يحشرون أنوفهم في مسائل تتعلق بدراسة التراث العربي الإسلامي الذي لا يعرف كنهه إلا العربي المسلم، لأن الحكم على هذه الأشياء العقدية لن يكون صحيحا -في اعتقادي- إلا إذا حكمنا العقل والنقل ووضعناهما في ميزان العقيدة الإسلامية، وهذا ما يفتقر إليه هؤلاء العلماء غير المسلمين الذين يعتمدون على العقل المجرد ويطبقون نظرياتهم العلمية الجافة التي لا تستند إلى أي خلفية دينية، لذلك تأتي أحكامهم غير مؤسسة وغير دقيقة.

الهوامش:

1. حجة القراءات: ص475. ينظر: الحجة في القراءات: ص253. إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص74.
2. الموضح: ص877. ينظر: الحجة في القراءات: ص253. إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص74.
3. حجة القراءات: ص475. ينظر: الحجة في القراءات: ص253. إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص74.

4. الموضح: ص877. ينظر: الحجة في القراءات: ص253. إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص74.
5. الموضح: ص873. حجة القراءات: ص473. إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص73. طلائع النشر: ص134.
6. حجة القراءات: ص476.
7. الموضح: ص879.
8. حجة القراءات: ص476. الموضح: ص879. ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها: ج2، ص77. الحجة للقراءات: ج5، ص276. طلائع النشر: ص136.
9. ينظر: سورة البقرة: الآية 249في ورش، و251 في حفص.
10. طلائع البشر: ص137. الحجة في القراءات: ص254. حجة القراءات:ص479. الموضح: ص883.
11. الموضح: ص885.
12. ينظر: سورة النساء: الآية31.
13. الموضح: ص888. طلائع البشر: ص138. حجة القراءات: 482. الحجة في القراءات: ص255.
14. معاني القرآن للفراء: ج1، ص104.